

الحمد لله و الصلاة والسلام على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين أمّا بعد :

فهذا ملخصي للدرس الثاني من شرح الأصول الثلاثة للشيخ مصطفى مبرم –حفظه الله – ضمن دورة معهد علوم التأصيل بشبكة إمام دار الهجرة.

قال ابن القيم –رحمه الله– : ((فانحصر الكمال الإنساني على هذه المراتب الأربعة.أحدها العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم ،و الثانية العمل به، و الثالثة نشره في النّاس و دعوتهم إليه ، و الرابعة صبره ، و جهاده في أدائه و تنفيذه .

و من تطلعت همته إلى معرفة ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، و أراد اتباعهم فهذه طريقهم حقا.))

فإن شئت وصل القوم فاسلك سبيلهم فقد وضحت للسالكين عيانا

❖العلم

- اعلم ، يعني تعلم .
- و العلم صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تاما. و هذا اختيار العلامة الشوكاني رحمه الله في كتابه : إرشاد الفحول . و هو أحسن التعاريف للعلم إذا تأملته.
- المراد بالعلم هنا : وهو العلم بما جاء به الرسول –صلى الله عليه و سلم– و هو :العلم بالله و بنبيه و العلم بدين الإسلام.

❖هل الأمر هنا للوجوب؟

إن كان ما أمر به العالم مما أمر به الله و رسوله صلى الله عليه و سلم ، أو كان وسيلة للوصول إلى المأمور به، أو كان فيه مصلحة للمأمور و لو كانت عامة، فإنّ الامتثال و الحالة هذه واجب . قال ابن بطة رحمه الله تعالى، في كتابه العظيم إبطال الحيل.:

((فطاعتهم على جميع الخلق واجبة، و معصيتهم محرمة...))

و قال ابن القيم –رحمه الله– : ((و طاعتهم –يعني طاعة أهل العلم– ، أفرض عليهم من طاعة الأمهات و الآباء بنصّ الكتاب)) . قال الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

فإذا علمت هذا ، فإنّ أهل العلم إذا قالوا لك في مصنفاتهم ، و هذا كثير، اعلم، فإيّاك و التهاون فيما يسوقونه لك في هذا المعلوم.

❖معنى رحمك الله

رحمك الله : أي يسأل الله تعالى لك أن يفيض عليك من رحمته التي تحصل به على مطلوبك و تنجو بها من مرهوبك.

❖فائدة التقديم بالأمر بالعلم و الدعاء للمتعلم:

- فيهما: أن العلم رحم بين أهله و أن المعاصرة نسب بين أهلها.(قول الشوكاني–رحمه الله–)
- و أنّه لا ينبغي التهاون في هذا الآمر.
- العلم، محلّه الرحمة بين العا لم و المتعلم.

❖المسألة الثانية: العمل به.

الضمير المجرور ها هنا، عائد على ما تقدم ،يعني على العلم . بمعنى أنه أراد أن العمل يكون بهذا العلم ،أي بمقتضى ما دلّ عليه هذا العلم ،فالعلم إنّما يراد للعمل .

❖المسألة الثالثة: الدعوة إليه

الضمير هنا المجرور عائد على المسألتين المتقدمتين يعني عائد على العلم و على العمل به بمعنى أنّك تدعو إلى العلم و إلى تعلمه و طلبه و تحصيله وتدعو إلى العمل به ،و الدعوة إلى العلم و الدعوة إلى العمل من أجل الأعمال و هي وظيفة الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام.

❖المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه

- الضمير هنا في قوله: فيه ، عائد على العلم و على العمل به و على الدعوة إليه، لينبهك إلى أن العلم قرين للصبر أو أن الصبر قرين للعلم و أن العلم محتاج إلى صبر و أنّ العمل محتاج إلى صبر و أنّ الدعوة محتاجة إلى صبر فالعلم و العمل و الدعوة لا تقوم هذه الأمور إلا مع الصبر عليها ، و مع الصبر إلى الوصول إليها .

- الأذى هنا لم يرد به المصنف –رحمه الله– ما يتعرض له الإنسان من الأذى الخارجي (أذية النّاس له) و إنّما أراد عموم الأذى ،فقد يكون هذا الأذى داخليا يعني من داخل الإنسان نفسه ،من التجزع أو التسخط أو الرغبة في الدنيا أو الركون إلى ملاذها و شهواتها ،فالنفس مؤذية . قال النبي عليه الصلاة و السلام كما في صحيح مسلم من حديث جابر : ((و نعوذ بالله من شرور أنفسنا)). و من شرور هذه النّفس ما تمليه من الأذى و توصل إليه من التأذي بالخير، فإذا علمت و عملت و

دعوت فإنّ من أشدّ الأذى ما تؤذيك به نفسك قبل غيرك و لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه.

❖الدليل

الدليل : فعيل بمعنى فاعل. و المراد به الموصل أو المرشد إلى المطلوب.

❖قوله : يجب علينا هذا الوجوب هو الوجوب العيني على كل مسلم و مسلمة فما تضمنته هذه الرسالة في الجملة هو من فروض الأعيان، فليس الآمر مختصا بالعلماء و لا بطلبة العلم ينبغي أن يتنبه أيضا أن هذا مما يجب على من يسمون بالعوام و ما أشبه ذلك.

❖دليل المسائل الأربعة :سورة العصر

- **هذه** السورة كلّها جملة قسم .
- جملة القسم مكونة من حرف القسم و المقسم به و المقسم عليه :
  - حرف القسم الواو
  - و العصر هو المقسم به
  - و قوله ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾: جواب القسم .

فوائد القسم في القرآن:

- عظم المقسِم
- عظم المقسَم به بمعنى أن الله تبارك و تعالى إذا أقسم في كتابه فإنه لا يقسم إلا بشيء عظيم و هو يقسم بما يشاء لا يسأل عما يفعل و هم يسألون
- عظمة المقسَم عليه

العصر:

العصر قيل هو:

- خصوص وقت الصلاة التي تؤدى.
- و قيل هو العهد الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه و سلم .
- و قيل هو عمر الناس جميعا يعني دهر الناس أو جميع الدهر .

و كل هذه الأقوال صحيحة لأنّ الله إنّما أقسم بالعصر لشرفه ،ووقت صلاة العصر من أشرف الأوقات و هي الصلاة الوسطى، و العهد الذي بعث فيه النبيّ -صلى الله عليه و سلم- هو أشرف الأزمان وأفضلها و خيرها والعصر الذي هو محلّ حياة النّاس هذا الوقت الذي جعله الله تبارك و تعالى لأعمال النّاس و ما يجازون به على أعمالهم .

- ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾: يعني أنّ جميع الإنسان خاسر و أكدها بأنّ و "الـ" في الإنسان هذه استغراق الجنس يعني :أنّ كل إنسان خاسر
- الخُسر فُسّر بالعقوبة الشديدة ، وفُسّر بالهلاك ،وفُسّر بالخسران ، وفُسّر بالنقصان و كل هذه تفاسير صحيحة يدلّ عليها اللفظ و قد قال جل و علا: ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾. فالإنسان في خسران فإذا علم أنّه في خسران تطلبت نفسه النجاة من هذا الخسار.

- دليل المسألة الأولى:﴿ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ استثنى المؤمنين .و هذا هو مقام العلم لأنّ العلم قرين الإيمان و الإيمان قرين العلم و لا يقوم الإيمان في قلب العبد ويستقر إلّا بالعلم.

و هذا الإيمان له حقائق و كل القرآن هو بيان و ترجمة لحقائق الإيمان،اقرأ من أول سورة الفاتحة إلى النّاس تجد أن القرآن يبين الإيمان و مسائله و شرائعه .

❖كل ما جاء في القرآن من فضل العلم و تشريفه و فضل أهله و تشريفهم و رفعة درجتهم، فإنّما يراد به العلم الشرعي .

❖العلم الذي لا يحتاج إلى قيد و لا يحتاج الموصوف به إلى قيد هو العلم الشرعي يقال هذا عالم و إذا أطلق فإنّما أريد به عالم الشريعة. أمّا غير العلم الشرعي إنّما

يسمى علما مع القيد : علم الفيزياء علم الكيمياء علم الرياضيات و العالم به يسمى عالما مع القيد :عالم بالفيزياء عالم بالجغرافيا عالم بالطب.

دليل المسألة الثانية : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

- هذه الواو عاطفة و العطف الأصل فيه أن يقتضي المغايرة إلّا لدلالة أو نكتة بيانية بلاغية
- أهل السنة يقرّرون بإجماعهم أنّ العمل من الإيمان
- الشيء إذا كان من الشيء و عطفته العرب ، فإنّما يريدون الاعتناء به و الاختصاص.
- عطف العمل على الإيمان من باب عطف الخاص على العام. يعني أن الله تبارك و تعالى أراد أن ينبه العباد إلى أنّهم ليس لهم أن يزعموا الإيمان و هم لا يعملون بمقتضياته فقال ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وهذه هي المسألة الثانية وهي:العمل بالعلم.
- ﴿ وَعَمِلُوا ﴾ هذا شامل لعمل القلب و عمل الجوارح .
- ذمّ من لا يعمل بعلمه :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

قال ابراهيم التيمي كما عند البخاري معلقا : ((ما عرضت قولي على عملي إلّا خشيت أن أكون مكذِبا –أو قال مكذَبا –))

بمعنى أنّهم كانوا يتهمون أنفسهم على العمل فلا بد من العمل بالعلم

- دليل المسألة الثالثة: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ التواصي أمر الغير بالإيمان ،والعمل الصالح والصبر على ذلك كلّه. الوصية بمعنى أنّك تحضّ و توصي و تعظّ نفسك و تعظّ غيرك على العلم و على العمل و على الصبر .

- دليل المسألة الرابعة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ وهذا الصبر صبر على العلم و صبر على العمل و صبر على الدعوة. كل هذه الأمور الصبر آخذ بزمامها.

- أقسام الصبر :

  - ✓ صبر على أقدار الله
  - ✓ و صبر على طاعة الله
  - ✓ و صبر عن معصية الله

❖ قول الشافعي

- بعض النّاس انتقد على شيخ الاسلام -رحمه الله تعالى- هذا الموضع ،وقال بأنّه نظر في المصنفات التي نقلت قول الشافعي -رحمه الله- فإذا به لم يذكر هذه اللفظة المصنفين ،فنقول بعض المصنفون يصنفون الكتب من حفظهم و الحفظ كما يقولون خوان .
- الشافعي إنّما قال : لو تدبر النّاس هذه السورة لكفتهم .(في تفسير إبن كثير، في كثير من كتب ابن القيم، شيخ الإسلام، يحكون هذا اللفظ)
- ذكر النووي في أول المجموع أنّ الشافعي -رحمه الله- قال في هذه السورة: النّاس في غفلة عن هذه السورة.
- يحتمل كما ذكر الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمة الله عليه- و إن لم يصرحّ بهذا الاحتمال أن تكون هذه رواية ثانية و الأمر في هذا يسير.
- معنى قول الشافعي:

هذه السورة كافية في إلزام النّاس بالدّين لأنّها جمعت خصال الخير كلّه :الايمان و العمل و الدعوة و الصبر

❖قول البخاري

- الأمر الأول :الذي في البخاري ، ليس فيه قوله " و الدليل". فربما أراد المصنف التبيّين و التسهيل و التيسير لأنّ هذه عادة جرى عليها في كتبه.

- الأمر الثاني: إذا نظرت إلى الروايات المشهورة التي بين أيدينا، و من صحيح البخاري رحمه الله ، تجد ليس فيه زيادة " قبل القول و العمل" ، و هذا من باب البيان من الشيخ محمد بن عبد الوهاب . و أنتم تعرفون أن روايات البخاري كثيرة : رواية ابي ذر الهروي و رواية الفربري و رواية الكشمهني، رواية كريمة بنت أحمدو رواية الإسماعيلي الاصيلي، قد يحصل فيها نوع من الخلاف في بعض الروايات أو بعض الزيادات كما هو معلوم للمعتنين بالحديث. فالبخاري رحمه الله تعالى، تفقه في هذه الآية ، و على تفقهه أفادنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب، أن هذا الدليل دال على أنّ العلم قبل القول والعمل . فالعلم سابق للقول و سابق للعمل .
- من عمل بلا علم كان سالكا لطريق النصارى.و علم ولم يعمل كان سالكا لطريق اليهود.
- المغضوب عليهم: و هم الذين أخذوا العلم بلا عمل .
- الضالين: و هم الذين عملوا بلا علم .
- أهل الصراط المستقيم:هم من جمعوا بين العلم والعمل.
- أعظم العلم و أجلّ العلم و أكمل العلم. العلم بلا إله إلا الله. و هو التوحيد و هو عبادة الله و هو ما سيدور عليه الكلام في هذا المصنَف.

❖ الفرق بين العلم والمعرفة :

العلم راجع إلى ذات المعلوم، و المعرفة راجعة إلى أوصافه. و المعرفة مسبوقة بالجهل ، و العلم لا يشترط ان يكون مسبوقا بالجهل.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت استغفرك وأتوب إليك